12 مليار دولار أنفقت على الحواجز السمنتية

المارد الكونكريتي يرحل عن شوارع بغداد تاركاً ذكريات مؤلمة

□ بغداد / إيناس طارق
□ عدسة / محمود رؤوف

الحواجز المرفوعة ستتحول إلى سور أمني يحيط بالعاصمة

الجدران الكونكريتية كانت تحمل أسماء ولايات أميركية مثل "الاسكا واريزونا"

أهالي بغداد يرحبون بخطوة رفع الحواجز عن الأحياء السكنية

الأحزاب في أسوار أخرى داخل تلك المناطق. لكن الخطة التي وضعتها الحكومة والقوات الأميركية آنذاك، رفعت أسعار مواد البناء حتى عجز الناس عن بناء بيوتهم، وتقسمت الكتل إلى أصناف عدة حملت أسماء الولايات الأميركية آنذاك.

فـ «حاجز آلاسكا» كان ارتفاعه أربعة أمتار فيما طوله متر واحد، أما «تكساس» فارتفاعه ثلاثة أمتار ونصف المتر، وطوله متر واحد، فيما يتقلص ارتفاع «نيوجرسي» إلى ثلاثة أمتار، ليحتل المرتبة الأخيرة «حاجز أريزونا» بارتفاع متر ونصف المتر.

وتراوحت أسعارها ما بين ٤٠٠ دولار لأصغرها، فيما ارتفع سعر أكبرها إلى ١٢٠٠ دولار في عز الأزمة، ليتراجع اليوم إلى ٢٥٠ دولاراً فقط، في ظل تدني الطلب الشديد عليها، فيما أغلق إعلان طريف على الكونكريت

عبارات خائفة

عبارات خطت بأيدٍ مرتعشة خائفة تحت جنح الظلام "وينّ الوعد يا حكومة لا نفط لا غاز لا ماء لا كهرباء" وبجانبها خطت عبارات دعائية لشركات سفر إلى أوربا ودول الجوار، أخطاء إملائية تنم عن قلة معرفة كاتبها بحروف لغة الضاد، التي توزعت بين الشوارع والأزقة، ضاعت معانيها جراء رفعها بين الحين والآخر من منطقة إلى أخرى حيرت من المسؤولين الأمنيين بتشكيل جدار كونكريتي يعتقد انه كان يصد الهجمات الإرهابية، ويعيق حركة الإرهابيين رغما أنها جدار تناثرت عليه الدماء والجثث من عشرات الأبرياء، رسمت لوحة الحرية والديمقراطية بدمائهم، وهذه التحديات بالتأكيد هي من الحاجة الملحة لتلك الجبال الكونكريتية لتذيق أعداء الوطن لعنة الدم العراقي المهدور.

حواجز كونكريتية صماء لكنها تحكي تاريخ الدولة العراقية منذ نشوئها في عشرينيات القرن الماضي إلى اليوم .

اطلاقات نار عشوائية

عام ٢٠٠٩، كان فريقنا الصحفي المتكون من ثلاثة أشخاص يتجول في منطقة السيدية وفجأة صوبت نحونا عيارات نارية عدة ، لكن الجدران التي كانت لا تبعد عن مبتغانا غير أمتار قليلة، جعلتنا نحتمي بها، وصدت النار عنا، وإلا أصبحنا الآن في خبر كان! عدت لأبحث بين الكتب الصماء عن تاريخ هذه الحواجز التي أنقذت حياتنا وجدتها أنها تسمى "حاجز جيرسي" نسبة إلى معهد ستيفنس للتكنولوجيا في هوبوكين، الولايات المتحدة، الذي طلب من ولاية نيو جيرسي تقسيم الطريق السريع الى مسارات متعددة على الطريق السريع وحاجز جيرسي نموذجي يقاس عموديا ٣٢ بوصة ٨١ سم)طويل القامة، ومصنوع من الفولاذ المقوى صب الخرسانة شيّد مع العديد من حديد التسليح فأصبح جزءا لا يتجزأ منها.

استخدامها على نطاق واسع في بناء الطرق قد أدى إلى تطبيق واسع بمثابة حاجز، للطرق السريعة ذات المسار الواحد في الولاية وكان الهدف على وجه التحديد في تصميم الجدار جيرسي على حد سواء لتقليل الضرر في حوادث عرضية والحد من احتمال وجود سيارة من العبور إلى قدوم الممرات في حالة حدوث تصادم.

تجار الجدران

مهندس معماري كان يشارك في عقد اتفاقيات وصناعة هذه الخرسانيات قال: إن الحواجز الكونكريتية تأخذ أحجاما مختلفة تبعاً لاختلاف استخدامها، منها ما هو بطول وعرض (٣×١م) وهي بتكلفة تصل إلى ٨٠٠ دولار، وهذه تستخدم غالبا لتطويق وعزل المناطق وفي الشوارع. ومنها ما هو بطول وعرض (٨٠سم×٢م)، وهي بتكلفة تصل إلى ٣٠٠ دولار، وهي تستخدم لإغلاق الطرقات وفي نقاط التفتيش المنتشرة في الطرقات، ولو أجرينا معادلة حسابية بسيطة عما تحويه شوارعنا ومدننا العراقية من كتل وحواجز كونكريتية بالأسعار أعلاه لنتج عنها مبالغ خيالية بالعملة الصعبة تعادل ميزانيات دول مجاورة، مضيفا أن كلفتها تبني مدنا جديدة كثيرة من الطراز الممتاز، مشيرا إلى ارتفاع سعر طن السمنت الواحد في الآونة الأخيرة إلى ٢٣٠ ألف دينار، بعدما كان قبل خمس سنوات بـ٥٠ ألفا، حيث كان العراق من الدول المصدرة للسمنت قبل عام ٢٠٠٣، أما الآن فهو احد مستورديه وبكل جدارة.

أسماؤها باسم الولايات الأميركية

في عام ٢٠٠٦، كانت الخطة تقتضي بناء عشرة أسوار بطول ٥٠ ألف متر، قيل حينها أن كلفتها نحو ١٥٠ مليون دولار، ناهيك عن تكاليف نقلها ونصبها وتغطيتها بأسلاك شائكة لتفصل المناطق المختلفة مذهبيا عن بعضها، وتوفر الأمان لمقرات الدوائر الدولة ومؤسسات القطاع الخاص ومقرات

ديات ومدرعات

فوضى وضجيج وأنقاض متراكمة لسنوات قابعة تحت كل كتلة خرسانية هذا ما عبر عنه المواطن ليث عبد الله الرجل الخمسيني الذي كان ينظر إلى آليات أمانة بغداد وهي ترفع الحواجز من مقابل داره الواقعة في منطقة البياع، يقول عبد الله: عندما سمعت أصوات الآليات انتابني الخوف من أن يكون مصدره دبابات أو مدرعات عسكرية هرعت مسرعة إلى باب منزلي الرئيسي المطل على الشارع العام لمنطقة البياع والواقع قرب دائرة التسجيل العقاري / فرع البياع لم اصدق ما أراه فهل أنا في حلم ، اعتقد أن حالنا سيكون أفضل، عمليا وحتى نفسيا.

عدد من المعامل الطارئة التي نصبها تجار للاستفادة من فرق السعر الهائل بين الكلفة وسعر البيع.

الارتفاع بأسعار الكتل رافقه ارتفاع بأجور النقل التي وصلت إلى ٦٠٠ دولار للنقلة داخل العاصمة وتتضاعف إذا كان خارجها.

أمانة بغداد

رفع الكتل اليوم، لا يتم إلا بتوجيه من قيادة عمليات بغداد – الجهة الأمنية المسؤولة عن امن العاصمة – التي تحدد من أي مكان تتم العملية وأين تنتهي ومتى، أما عدد الكتل التي تم رفعها فلا يمكن تحديده بدقة، إلا أن الأمانة تقوم برفع المئات وأحيانا الآلاف يوميا.

هذه الكتل كما يقول حكيم عبد الزهرة مدير إعلام الأمانة تتوجه إلى ساحة عامة مخصصة لتكديسها، ومنها تأخذ طريقها الى أماكن متعددة، بعضها يتم وضعها بمناطق جديدة، لكن هذه المرة لحماية الشركات الأجنبية التي بدأت تتوافد على العراق، أو لرصفها على أطراف العاصمة كجزء من مشروع سور أمني.

وباشرت أمانة بغداد تنفيذ حملة لرفع الكتل الكونكريتية من منطقة الباب الشرقي قرب ساحة الطيران بالتنسيق مع قيادة عمليات بغداد.

وقال وكيل أمانة بغداد للشؤون البلدية المهندس (نعيم الكعبي) إن "ملاكات دائرة الوحدات الإنتاجية التابعة لأمانة بغداد باشرت أعمال رفع الكتل الكونكريتية المحيطة بالمحال التجارية للمنطقة الممتدة من ساحة الطيران إلى ساحة التحرير كخطوة أولى باتجاه رفع الكتل الكونكريتية من مناطق العاصمة بغداد كافة."

وأضاف ان "عملية رفع الكتل الكونكريتية ستمكن أمانة بغداد من القيام بأداء واجباتها بالشكل الأمثل ورفع النفايات والأنقاض ورسم الخريطة البلدية وتنظيم الأسواق ورفع التجاوزات وتقديم أفضل الخدمات لأهالي العاصمة بغداد إلى جانب تخفيف الزخم المروري.

جزيرة معزولة

بينما تقول أم سلوى – الموظفة في وزارة العلوم والتكنولوجيا والتي تسكن في منطقة السيدية- هذه الجدران بأنواعها المختلفة غيّرت حياة الناس، ونصبها جعل من بغداد في السنوات سابقة أشبه بجزيرة معزولة إذ الوقت اللازم للذهاب لتقضية عمل لا يستغرق أكثر من نصف ساعة بالسيارة يتطلب ساعتين للوصول إلى البوابة الكونكريتية الرئيسية لكل منطقة .

حركة الرافعات والشاحنات التي خصصتها أمانة العاصمة لإتمام عملية إزالة الحواجز الكونكريتية، ذكّرت البغداديين بآلاف القصص المؤلمة التي عاشوها في مأساة حقيقية لن تمحى بسهولة. تقول بتول كاظم من سكنة منطقة مدينة الصدر: الأحياء بدأت تسترد عافيتها وتوشك الآن على التحول

اسواق خلف الاسوار

إلى مدينة حقيقية وليس ثكنة عسكرية.

الباب الشرقي

ويقول المواطن ابو سجاد صاحب محل لبيع الأدوات الكهربائية في منطقة الباب الشرقي : إن ظاهرة الحواجز الكونكريتية أصبحت علامة بارزة وهي تكاد تكون ثقافة مطلقة باتجاه درء الأخطار المقبلة التي أضحت ملازمة لحياتنا اليومية وقطع الشوارع ووجود أكثر من نقطتي تفتيش في شارع واحد لا يتجاوز طوله الكيلومتر ونصف يشهد زحاما لا يطاق إضافة إلى التوقف الذي أصبح ممنوعا على جانبي الطريق أدى الى قطع أرزاقنا ، اما سائق سيارة الأجرة تحسين فارس فيقول : رفع الحواجز أتاح فسحة اكبر لوقوف السيارات، كون مرآب الباب الشرقي لا يستوعب هذا الحجم من السيارات، وبالتالي الحواجز كانت تخنق الشارع والساحة، معتبرا أنها خطوة جيدة لفك بعض الزحامات، وقد فرح بها معظم السواق.

وبعد تحسن الوضع الأمني في بغداد، أعلنت قيادة عمليات بغداد في وقت سابق من هذا الشهر حملة واسعة النطاق لإزالة الحواجز عن عدد من المناطق، كخطوة أولى لإزالة جميع الحواجز من بغداد.

يقول المواطن أبو علي صاحب محل لبيع الخضراوات والفواكه : هذه الجدران دمرتنا نفسيا وماليا لأنها مثبتة قرب محلاتنا التجارية منذ أكثر من أربع سنوات بالتأكيد قدمت الحماية من الهجمات الإرهابية لكن هناك الآن تحسنا كبيرا في أمن منطقتنا، وأنه لم يعد من الضروري بقاؤها ونريد إزالتها وفتح الشوارع، وان الوقت الآن قد حان، يكفي ما تحملناه.

أما منطقة شارع فلسطين فهي أيضا كانت سعيدة الحظ لان إزالة الحواجز شملها، حيث يقول المواطن صلاح منصور: كان يفترض أن تصرف المبالغ التي أنفقت لصنع الحواجز على البناء والأعمار لأنها شوهت جمال المدن وشوارعها، فصار الناس يشعرون بأنهم في زنزانات كبيرة وكان من المفترض أيضا استثمار هذه الأموال في أمور أهم مثل بناء المستشفيات والمدارس وتوفير الخدمات البسيطة التي أصبحت حلم كل مواطن بسيط.

ماذا سنفعل بهذه الخردة بعد رفعها من بعض شوارع العاصمة ودفع ثمنها الكبير وهناك تصريحات لمسؤولين كبار في الحكومة قالوا إن مخططا مستقبليا وضع لها لكي تشكل سورا يمتد مئات الكيلومترات للحد من عمليات التهريب والهروب من وإلى البلاد. ورغم الذكريات السيئة المخزونة لدى الكثير من العراقيين مع تلك الكتل الكونكريتية التي شكلت جدرانا بأنواعها المختلفة غيّرت حياة الناس فكل واحد منا ترك ذكريات عليها اختلطت بين الألم واليأس والانتظار الطويل وكفوف أيدي اتّكأت عليها لتكتب بأناملها جملة واحدة "لا لكتم الأفواه".